Strategy
WATCH

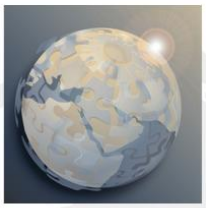

المرصد الاستراتيجي

هل تلوح في الأفق بوادر حرب جديدة في الشرق الأوسط؟

ترجمات

نشر موقع (Eurasia Review) دراسة بعنوان (Is Another War Looming Over Middle East?) أشار فيها الباحث (Anchal Vohra) إلى أن الهجمات المتبادلة بين إسرائيل ونظام دمشق قد دقت جرس الإنذار في منطقة غرب آسيا، منذرة بأن خط الهدنة في منطقة الجولان قد يتحول إلى مسرح لصراع ذو تداعيات عالمية.

واستعرض الباحث سير الأحداث منذ 10 فبراير الماضي، حيث اعترضت تل أبيب طائرة إيرانية مسيرة عن بعد فوق "أراضيها"، ورداً على ذلك شنت عدة هجمات كان من بينها ضرب قاعدة تدمر التي انطلقت منها الطائرة الإيرانية، الأمر الذي دفع سلاح الجو التابع للنظام لإطلاق منظوماته الدفاعية مسقطاً طائرة "إف-16" إسرائيلية وهي في طريق عودتها، وهي أول عملية إسقاط مقاتلة إسرائيلية منذ ثمانينات القرن الماضي، وردت إسرائيل على ذلك باستهداف العديد من المواقع الإيرانية والسورية داخل الأراضي السورية، وأكد رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو أن سلاح الجو الإسرائيلي استهدف مواقع سورية وإيرانية، مشيراً إلى أن قواعد الاشتباك لم تتغير وأن تل أبيب ستواصل الرد على أية محاولة لاستهدافها.

ورأى الباحث أن هذه الاشتباكات قد تمثل بدايات حرب محتملة في منطقة غرب آسيا، ويخشى العديد من المراقبين بأن منطقة جنوب سوريا ستكون ساحة الصراح القادمة بين إيران وإسرائيل، مشيراً إلى أن "محور المقاومة" المتمثل في إيران ونظام دمشق و"حزب الله" قد يصعد الموقف في الوقت الحالي، وذلك في تراجع عن السياسية التي انتهجها بشار الأسد قبل عام 2011، والتي تمثلت من خلالها إبرام صفقة سلام مع تل أبيب من خلال قنوات غربية على مبدأ تخفيف علاقاته مع إيران لقاء استعادة مرتفعات الجولان.

وبما أن سوريا تستضيف مئات آلاف الفلسطينيين منذ 1948؛ فقد ساندت دمشق مع غيرها من الدول العربية القضية الفلسطينية وأصبحت المسألة شخصية بين سوريا وإسرائيل منذ نشوب حرب الأيام الستة التي احتلت فيها الدولة اليهودية مساحات واسعة من مرتفعات الجولان جنوب غرب البلاد، مما جعل إسرائيل عدواً أبدياً للسوريين ما دام يحتل أراضيهم.

وأشار الباحث إلى أن الاعتقاد السائد في صفوف حزب البعث بأن الولايات المتحدة وأوروبا تدعمان المعارضة في مواجهة "الأسد العلماني" لضمان مصالح إسرائيل في المنطقة. ورغم أنه من الصواب القول أن الولايات المتحدة تدعم إسرائيل بشكل مطلق إلا أن الثورة في سوريا قد جاءت نتيجة انعدام الإصلاحات السياسية والاقتصادية في سوريا، إلا أن رواية إعلام النظام تلقي اللوم على عاتق إسرائيل وتحملها أوزار اندلاع الثورة، في حين تظهر صور بشار الأسد إلى جانب قائد ميلشيا "حزب الله" اللبناني حسن نصرالله وعليها عبارات مقاومة "الهيمنة الإسرائيلية" .

وبعد مرور سبع سنوات من الصراع؛ تعب السوريون من الحرب الطويلة وانقسموا على من يلقون اللوم، فمعظم اللاجئين يلومون النظام، في حين يلقي الذين وجدوا الأمان النسبي في مناطق النظام اللوم على المعارضة، بينما تبقى "إسرائيل" العدو المشترك لكلا الطرفين.

ونقلت الدراسة عن أحد الموالين للنظام قوله: لولا تحالف إيران وسوريا و"حزب الله" لاحتلتنا إسرائيل خلال سنوات الحرب، مشيرة إلى انتشار الأناشيد الوطنية التي تشيد بحماية الحزب لسوريا من خطر الجهاديين ومن الإسرائيليين.

في هذه الأثناء؛ مكن الصراع الدائر في سوريا الميلشيات الإيرانية من التمدد والوصول لمدينة القنيطرة في منطقة الجولان السورية، حيث يُعتقد أن هنالك نحو عشرة آلاف من مقاتلي "حزب الله" جنوب سوريا، وقد يكون الرقم مبالغ فيه، إلا أنه يصعب التشكيك في رغبة الحزب بالحصول على موطئ قدم دائم في الجنوب السوري، وأنه يتخذ من القنيطرة قاعدة لتدريب المليشيات المدعومة من إيران التي تقاتل بالوكالة عن إيران في مناطق أخرى من المنطقة. ونقلت عن أحد مقاتلي "فيلق بدر" العراقي أن مجموعته تلقت تدريبات لمدة ثلاثة أشهر من عناصر "حزب الله" اللبناني في معسكرات لا تبعد سوى أميال قليلة عن الحدود مع "إسرائيل".

وكان شهر نوفمبر قد شهد توقيع مذكرة تفاهم بين الولايات المتحدة وروسيا والأردن لتمديد وقف إطلاق النار في المثلث الحدودي جنوب غرب سوريا، ونصت على عدم اقترب المقاتلين الأجانب من الحدود، إلا أن الأعمال العدائية قد ازدادت على أرض الواقع.

وفي أواخر شهر ديسمبر الماضي سيطرت قوات الأسد على منطقة بيت جن بالقرب من الجولان، مما دفع بعض الفصائل التي تستفيد من المساعدات الإنسانية والطبية الإسرائيلية للتراجع، وأكدت رئيسة التمريض أوكامبو سمادار في مستشفى الجليل أن إسرائيل خصصت حافلات لجلب المرضى والجرحى السوريين بما في ذلك المقاتلين

لتحضرهم للمستشفيات في داخل إسرائيل، حيث قدم مشفى الجليل الرعاية الطبية 1600 سوري وذلك ضمن سياسة بناء علاقات حسنة مع جيران إسرائيل التي تخشى من الاضطرار تحت الضغط لإعادة الجولان في أي صفقة سلام مستقبلية مما حدا برئيس الوزراء الإسرائيلي نتينياهو للتأكيد بأن الجولان ستبقى بيد إسرائيل للأبد.

وكانت القوات الإسرائيلية قد شنت في الفترة الماضية أكثر من مائة غارة جوية على أهداف داخل الأراضي السورية، واعترف القائد السابق لسلاح الجو الإسرائيلي بأن مقاتلاته استهدفت شحنات وقوافل سلاح أرسلتها إيران للنظام ولـ"حزب الله" اللبناني.

ونقل الكاتب عن المحلل الإسرائيلي عوفر زالزبيرغ من مجموعة دراسات الأزمات العالمية قوله: "تعتقد إسرائيل أن تواجد إيران وحزب الله بالقرب من خط وقف إطلاق النار في الجولان سيفضي إلى قيام إيران بإنشاء بنى حربية يمكن استخدامها مستقبلاً لشن الهجمات على المدنيين الإسرائيليين"، الأمر الذي يدفع إسرائيل لاحتواء "حزب الله" من خلال ضرب مستودعات أسلحته، في حين تتنامى الثقة لدى قيادة الحزب بقدراتهم، حيث حذر العميد إلياس فرحات إسرائيل من أية مغامرة بقوله: "لن تكون حرباً يكسبها أي من الطرفين، إلا أن لدى الحزب قدرة على تدمير المدن الإسرائيلية الرئيسية"، وفي حال نشوب الحرب؛ فإن كل من إسرائيل و"حزب الله" يتطلعان لمعركة حاسمة لإفناء الآخر، في حين ستعمد إيران إلى فتح جبهة في سوريا بالإضافة إلى جبهة جنوب لبنان، وقد كان من الممكن لإسرائيل أن تتفاهم مع سوريا لو أنها أعادت الجولان لسيطرة دمشق، أما الأن ومع كل هذا النفوذ الإيراني لطهران في دمشق فإن هذه الفرصة قد فاتت.

ورأت الدراسة أن السلوك الإسرائيلي المتعنت سيمثل السبب الرئيس في إشعال الحرب المقبلة في مقابل السلوك العدائي لإيران، ويبدو أن الأزمة في غرب آسيا مثل العجلة التي تدور وتدور ثم تتوقف دائماً عند محطة الصراع العربي-الإسرائيلي.